# منهجية القرآن في محاجة المخالفين

# The Qur'anic Methodology in Debating with the Deniers

10.35781/1637-000-134-008

د. هاني بن علي بن عايد البلوي*

*أستاذ العقيدة المساعد، قسم الدراسات الإسلامية

بكلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك المملكة العربية السعودية.

## الملخص

**يتناول هذا البحث جوانب منهجية القرآن في حجاج المخالفين، بغرض استكشاف المفاهيم الحجاجية التي استخدمها القرآن الكريم وأثر تلك المفاهيم في نفس متلقيها، واستعرض البحث سبعة من هذه المفاهيم وهي: الحجة والبرهان والجدل والحوار والبينة والآية والسلطان، كما تطرق البحث إلى المقاصد المنهجية للقرآن الكريم في محاجته للمخالفين والمنكرين، وتم حصرها بأربعة مقاصد رئيسية هي: مقصد الهداية، ومقصد البناء العقدي، ومقصد الإصلاح الخلقي، ومقصد إصلاح التفكير، وأخيراً فقد تناول البحث الخصائص المنهجية للحجاج في القرآن الكريم، وتوصل إلى: أنها تعتبر نموذجاً متكاملاً لأي عملية حوار بين المؤمنين والمنكرين لقضايا الإيمان والتوحيد، والتمايز بين الحجاج البشري والقرآني، وأن القرآن يخاطب في أدلته وبراهينه العقل والوجدان معاً، وأن حجج القرآن تفيد اليقين والقطع دائماً، وقد تم استخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي لآيات القرآن الكريم للتعرف على المفاهيم الحجاجية في القرآن الكريم ومقاصدها وخصائصها.**

**الكلمات المفتاحية: منهجية، الحجاج، محاجة القرآن، البرهان، الجدل، البناء العقدي، الهداية، إصلاح التفكير.**

ISSN : 2410-1818

# The Qur'anic Methodology in Debating with the Deniers

Dr. Hani Bin Ali Bin Ayed Al-Balawi*

*Assistant Professor, Department of Islamic Studies,
Faculty of Sharia'a and Law, University of Tabuk, Saudi Arabia

## Abstract

This research addresses aspects of the Qur'anic methodology in in arguing with opponents and deniers, with the aim of exploring the argumentative concepts used by the Holy Qur'an and the impact of these concepts on the soul of its recipients. The research reviewed seven of these concepts: argument, proof, debate, dialogue, evidence, verse, and authority. The research also addressed the methodological objectives of the Holy Qur'an in its argumentation of opponents and deniers, and found these limited to four main objectives: the objective of guidance, the objective of doctrinal construction, the objective of moral reform, and the objective of reforming thought. Finally, the research addressed the methodological characteristics of argumentation in the Holy Qur'an, and concluded that: it is considered an integrated model for any dialogue process between believers and deniers on issues of faith and monotheism, and the distinction between human and Qur'anic argumentation, and that the Qur'an addresses both reason and conscience in its evidence and proofs, and that the arguments of the Qur'an always provide certainty and conviction. The inductive and analytical approach was used to identify the argumentative concepts in the Holy Qur'an and their objectives and characteristics.

**Keywords**: Methodology, Argumentation, Quranic Argumentation, Proof, Dialectic, Doctrinal Construction, Guidance, Reform of Thought.

ISSN : 2410-1818

- **مقدمة البحث وفكرته:**

ترتبط قضية حجاج القرآن للمخالفين ارتباطًا وثيقًا بقضايا العقيدة، والتي يمكن من خلالها الوقوف على أهم الأدلة والبراهين التي قدمها القرآن حول مسائل الإيمان بأركانه ومكوناته: الله، والنبوة، والكتب، والغيب من خلال محاجة القرآن للمخالفين والمنكرين لهذه المسائل. كما يمكن الوقوف في ضوء تحليل "مواقف الحجاج" القرآني على أهم ردود المخالفين (أو مزاعمهم بالأحرى) حول مسائل الإيمان وأركانه، بهدف الوعي بتلك المزاعم وطبيعة رد القرآن عليها، وترجع أهمية ذلك إلى تحقيق الوعي لدى المجتمع المسلم بسبل التنشئة العقدية الصحيحة حول الشبهات والمطاعن التي تتعرض لها العقيدة، لاسيما وأن هذه المزاعم تتكرر في الأزمنة المختلفة، وإن التنشئة العقدية على تهافت هذه المزاعم يؤدي بدوره إلى التماسك العقدي للمجتمع المسلم المعاصر على المستوى الفردي والجماعي.

كذلك فإن التعرض لمنهجية القرآن في محاجة المخالفين، يُمكِّن المسلم من الوقوف على طبيعة مزاعم المخالفين وردود القرآن عليها، وطبيعة الميزان الذي يزن به القرآن هذه المزاعم، وبأي منطق يرسم القرآن طريقة محاجته، هل هو المنطق الوجداني فقط؟ أم العقلي؟ أو الحسي؟ إن منهجية القرآن تمثل بلا شك الطريقة المثلى التي يمكن أن يتم بها دحض هذه المزاعم في كل زمان ومكان، بالإضافة إلى التمكين العقدي للشباب في عصر الاضطرابات والانحرافات العقدية التي زاد ظلالها في عصر العولمة والثورة التكنولوجية، فتبدو الحاجة إلى بناء داخلي للإنسان المسلم (فردًا وجماعة) وفق منهجية القرآن المثلى والحكمة البالغة التي تعلو كل منهجية وكل منطق آخر في البحث والحجاج العقدي من ناحية والتأثير السلوكي والوجداني من ناحية أخرى، وإن كان المنطق الأول يخص المخالفين، فإنه في الوقت ذاته يؤثر في طريقة البناء العقدي للمجتمع المسلم، ومن ثم تكون غاية الحجاج القرآني للمخالفين موجهة في ذات الوقت إلى تثبيت ركائز الإيمان في نفوس المسلمين.

- **الدراسات السابقة:**

تنتمي أغلب الدراسات السابقة التي اهتمت بموضوع "الحجاج" في القرآن الكريم إلى البحث اللغوي والأدبي، باعتبار أن الحجاج لون من ألوان الخطاب القرآني الموجه للمخالفين والمنكرين لقضايا الإيمان التي جاء بها الرسل والأنبياء والكتب السماوية، وقد اهتم هذا النوع من الدراسات بالبحث في خصائص الخطاب الحجاجي وأنواعه وأساليبه.

ISSN : 2410-1818

ومن الدراسات التي سلكت هذا المنحى: دراسة "الحجاج في القرآن الكريم: سورة الحج نموذجًا"[1]. والتي تناولت البحث في أسلوب الحجاج باعتباره من آليات البيان في القرآن الكريم، وانطلقت الدراسة من فرضية أن القرآن الكريم هو خطاب حجاجي موجه في الأساس للتأثير في المتلقي وسلوكه التي تحقق هذه الغايات، وطبقت الدراسة خصائص الأسلوب الحجاجي (الاستمالة - التأثير - الإقناع) متخذة من سورة الحج أنموذجًا، وقد استخدمت المنهج التداولي في الكشف عن الآليات التي وظفها القرآن الكريم للإقناع.

ومن هذه الدراسات أيضاً، دراسة "أسلوب الحجاج في إثبات البعث في النظم الكريم بين المكي والمدني دراسة بلاغية تحليلية"[2]، والتي تعرضت إلى إبراز أسلوب الحجاج في النظم القرآني ودوره في تقرير العقائد في النفس الإنسانية، متناولة قضية إثبات البعث وهي إحدى القضايا التي أنكرها المشركين والكافرين بالرسل والكتب السماوية، واهتمت هذه الدراسة بإبراز الخصائص اللغوية والبلاغية لآيات البعث في عدد من الآيات القرآنية المكية والمدنية.

وفي ذات المنحى جاءت دراسة "الحجاج في القرآن الكريم.. رؤية جديدة"[3]، والتي اهتمت بالبحث في أنواع الخطاب القرآني، وأوضحت أن القرآن استخدم أكثر من نوع من أنواع الخطاب، فهناك الخطاب التعليمي، والخطاب الإقناعي، والخطاب الحجاجي الجدلي، وقررت الدراسة بأن تعدد هذه الأنماط في الخطاب القرآني يؤكد أن الخطاب القرآني خطاب كوني يخاطب الجميع، وهذه الخصيصة جعلته مشتملًا على ما يناسب كل متلق، وهذا التناسب أو المناسبة يكون مؤثرًا في الأسلوب أو التشكيل الأسلوبي الذي يتناسب مع المتلقي.

أما دراسة "تجليات الحجاج في القرآن الكريم: سورة يوسف- أنموذجًا"[4]. فقد اهتمت بالبحث في النظم القرآني عامة والقصة القرآنية بصفة خاصة، وحددت لها مجموعة من المحاور البحثية هي:

---

(1) أحلام عبد العزيز الوصيفر، عزة محمد جدوع: "الحجاج في القرآن الكريم: سورة الحج نموذجًا"، **مجلة البحث العلمي في الآداب**، عدد (19)، 2018، القاهرة، جامعة عين شمس، ص233 - 272.

(2) محسن بن علي الشهري: "أسلوب الحجاج في إثبات البعث في النظم الكريم بين المكي والمدني: دراسة بلاغية تحليلية"، **مجلة العلوم الإسلامية**، عدد (6)، مج (2)، فلسطين، ديسمبر 2019، ص107 - 116.

(3) أيمن خمس عبد اللطيف: "الحجاج في القرآن: رؤية جديدة"، **مجلة كلية الآداب**، عدد (40)، ج (1)، أبريل 2015، القاهرة، جامعة بنها، ص729 - 785.

(4) حياة دحمان: **تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجًا**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات، 2013، 295 ص.

ISSN : 2410-1818

البحث في مفهوم الحجاج ومفاهيمه ومصطلحاته، والآليات الحجاجية للخطاب القرآني في القصص الكريم والموظفة في سورة يوسف "عليه السلام" بصورة أكثر تحديدًا.

أما الدراسات ذات المنحى المنهجي في تناول "الحجاج القرآني"، فمنها دراسة "منهج القرآن الكريم في إبطال حجج المخالفين لدعوة الرسل عليهم السلام" [1]. وقد لامست هذه الدراسة بعض الجوانب من منهجية "الحجاج" في القرآن الكريم، وذلك من حيث تصنيف موضوعات الحجاج بحيث يسهل على الدارس الوقوف عليها، حيث صنفت المخالفين لدعوة الرسل إلى أربعة أصناف؛ ما يتعلق بأشخاص الرسل، وكتبهم، وإتباع الرسل، وموضوع دعوتهم. وقد تناولت الدراسة ردود القرآن الكريم وإبطاله لمزاعم المخالفين في هذه الموضوعات بصورة محددة.

- **موقع البحث من الدراسات السابقة:**

أغلب الدراسات السابقة جاءت في ميدان البلاغة اللغوية وقامت بتوظيف "النص الحجاجي" في القرآن من خلال أدوات ومنهجيات البلاغة، وعدد قليل من الدراسات اهتمت بالأسس المنهجية للحجاج القرآني، ولم نستطع الوقوف منها إلا على دراسة واحدة وهي التي ذكرت أعلاه وتناولت المنهج الحجاجي القرآني لإبطال دعاوى وحجج المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام.

يهتم البحث الحالي بالبعد المنهجي لعملية الحجاج القرآني للمخالفين، وتظهر أهمية هذا البعد المنهجي كجزء من تقرير مباحث العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، متخذاً من عناية القرآن الكريم بالمنهج الخطابي بصفة عامة، وبمنهجية القرآن الكريم في محاجة المخالفين بصفة خاصة، متطلعة إلى الكشف عن جوانب تلك المنهجية الحجاجية: أسسها ومبادئها ومقاصدها وغاياتها.

وفي ضوء ذلك، يسعى البحث إلى تأسيس منحى بحثي جديد يتعلق بالبحث في منهجية "الحجاج" في القرآن الكريم من واقع التخصص العقدي، باحثاً في أسس منهجية القرآن في محاجة المخالفين والمنكرين وطريقته المثلى في تقديم الردود على المزاعم والمطاعن في قضايا الإيمان والعقيدة، وهو الأمر الذي نراه يفيد في مجالات العقيدة الإسلامية والدعوة والثقافة الإسلامية وكذلك في المجال التربوي.

---

[1] عبد الله بن علي بن أحمد القرني: **منهج القرآن الكريم في إبطال حجج المخالفين لدعوة الرسل – عليهم السلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، 1431هـ، 423 ص.

ISSN : 2410-1818

- **مصطلحات البحث:**

ونتناول هنا ثلاثة مصطلحات يستخدمها البحث بشكل إجرائي وهي كما يأتي:

**أولا: منهجية:**

**لغة:** المنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**"[المائدة:48]، قال الراغب الأصفهاني: "النهج الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج: وضح، ومنهج الطريق ومنهاجه"[1]، وكذلك نجد المعنى ذاته في لسان العرب حيث المنهج هو الطريق الواضح أو الطريق المستقيم[2].

**والمنهجية اصطلاحاً:** اتخاذ الطريق الواضح متتبعا الخطوات التي تقود إليه.. أو هي الوسائل التي يتخذها الإنسان للوصول إلى الغاية المأمولة بأفضل الطرق وأكملها، وبتعبير آخر "المنهجية مصدر لابتغاء الرشد، وبقدر ما تحيط به من علم الطريق، وبيان الوصل وبقدر صحة منطلقاتها وسلامة وجهتها، يكون قيامها مقام المرشد الأمين الذي يبين معالم الطريق"[3].

وتحتوي المنهجية على مفاهيم، وهي اللبنات التي تؤسس المنهجية، والأطر المرجعية أو النسق القياسي والنماذج التحليلية، وهذا الإطار المرجعي للمنهجية موضعه موضع الخريطة الأساسية للملامح العامة للموقع محل الرضى والنظر والحركة، وضبط وتحريك الوحدات الجزئية، وإقامة العلاقات الارتباطية بينها في ضوء المنظومة القيمية التي تنطوي عليها هذه الأطر[4].

**إجرائياً:** نقصد بالمنهجية في هذا البحث: طريقة القرآن في محاجة المخالفين، وتتضمن هذه الطريقة: أهم المفاهيم المستخدمة في الحجاج القرآني، ومقاصد الحجاج، واتجاهاته. أي محاولة استيعاب شاملة للإطار المنهجي لعملية حجاج القرآن للمخالفين، وإن كنا في هذا البحث لا نستطيع أن نفي بكل متطلبات تلك المنهجية وذلك لطبيعة حجم البحث، ولكن حسب البحث أن يفتح طريقًا ممهدًا في هذا المنحى للباحثين والمهتمين في دراسات أخرى لاحقة بإذن الله.

---

(1) الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان داوودي، دمشق: دار القلم، 1992، ص825.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، ج14، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1997، ص300.

(3) منى أبو الفضل: **نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996، ص8.

(4) المرجع السابق، ص9.

ISSN : 2410-1818

**ثانياً: محاجة القرآن:**

**إجرائياً:** الخطاب القرآني الذي يتضمن ردودًا على المخالفين والمنكرين لقضايا الإيمان والبعث والنشور وما يتعلق بها. وقد سمى القرآن مزاعم المخالفين (حجة) ولكن أردفها بالوصف بأنها باطلة فقال تعالى: "وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ" [الشورى:16]. ويمكن رد تسمية ذلك بالحجة إلى ما اعتبره المخالفين أنفسهم بأن ما يقدموه يمكن أن يطلق عليه لفظة حجة.

أما حجة القرآن أي ردود القرآن على مزاعم المخالفين فقد وصفت بأنها الحجة البالغة، قال تعالى: "**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**" [الأنعام:149]، أي أنها هي الحجة الثابتة الوقوع والمبرهنة بالدليل الذي لا خلاف فيه.

**ثالثاً: المخالفين:**

**إجرائياً**، نقصد بهم المنكرين لقضايا الإيمان التي جاء بها الأنبياء، وهذه القضايا هي: التوحيد، وصدق إرسال الرسل والأنبياء، وحقيقة الغيب والبعث والنشور والحساب والجزاء، ويمكن أن نصنفهم إلى ثلاث فئات أساسية هي: المشركون، الدهريون، المجسدون.

- **قضية البحث:**

كان للمخالفين لقضايا الإيمان والتوحيد عبر الخليقة، مزاعم وشبهات حاولوا من خلالها تقديم مبررات ومسوغات لشركهم وكفرهم بالله تعالى وعدم اكتراثهم بدعوة الأنبياء والرسل، وقد اهتم القرآن الكريم - باعتباره كتاب الرسالة والنبوة الخاتمة - بتضمين أهم هذه الدعاوى وما تتضمنه من مزاعم (أو حجج بادعاء أصحابها)، وقد استعرض القرآن أقوال المنكرين للإيمان جملة (على اختلاف إنكارهم)، كما وصور القرآن الكريم هذه المزاعم في مشاهد قرآنية فريدة، كانت تبدأ عادة بطرح مزاعم وادعاءات المخالفين، ثم رد القرآن عليهم بحجته البالغة، مستخدمًا كافة أنواع البراهين والأدلة التي تدحض افتراءات المخالفين وترد عليهم من ناحية، وتؤسس من ناحية أخرى لقواعد تثبيت الإيمان في نفوس المسلمين، حيث مثلت "حجج" القرآن ما عرف بدلائل الإيمان، ودلائل التوحيد، ودلائل النبوة، ودلائل الغيب، وغير ذلك مما قدمته حجج القرآن البالغة.

تتحدد قضية البحث في درس وتحليل المنهجية التي خطها القرآن الكريم في محاجة المخالفين وذلك من خلال البحث في: خارطة مفاهيم الحجاج في القرآن الكريم، ومقاصده المنهجية، وكذلك الخصائص المنهجية لحجاج القرآن الكريم للمخالفين.

ISSN : 2410-1818

- **أهداف للبحث:**

يسعى البحث إلى الوقوف على معالم /جوانب منهجية القرآنية في محاجة المخالفين والمنكرين لمسائل التوحيد والإيمان وما يترتب عليهما من مسائل العقيدة الإسلامية، فيهدف البحث إلى:

1. الوقوف على خارطة مفاهيم الحجاج في القرآن الكريم.
2. بيان مقاصد منهجية الحجاج في القرآن.
3. خصائص منهجية الحجاج في القرآن.

- **منهج البحث:**

يستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، وهذا المنهج لا يكتفي بوصف الظاهرة أو موضوع البحث فقط ولكن يسعى أيضًا إلى التفسير والوقوف على العوامل التي تشكل الظاهرة، وهذا المنهج يلائم تحقيق أهداف المرتجاة.

**أقسام الدراسة:**

تنقسم الدراسة إلى ما يلي:

مقدمة الدراسة وإطار المعالجة، وتتضمن (المقدمة - الدراسات السابقة -مصطلحات البحث- قضية البحث - أهداف البحث- منهج البحث - أقسام البحث ومحاوره).

المحور الأول: خارطة مفاهيم الحجاج في القرآن: (الجدل- البرهان - الحوار - الحجة - البينة - السلطان- الآية).

المحور الثاني: مقاصد منهجية الحجاج في القرآن: (الهداية - إصلاح التفكير الإنساني - الإصلاح الأخلاقي).

المحور الثالث: خصائص منهجية الحجاج في القرآن.

ISSN : 2410-1818

## المحور الأول: مفاهيم الحجاج في القرآن الكريم

تعد المفاهيم اللبنات الأساسية للمنهجية، وتشكل بذور البناء الأولى للإطار الفكري والمرجعية التي تنشدها المنهجية، كما أنها تساعد بشكل كبير على اكتشاف الأسس التي تقوم عليها المنهجية، وقد اعتنى القرآن بالمفاهيم عناية كبيرة في تشكيل المنهجية الفكرية والعقدية للمسلمين واعتبرها ركنا أساسيًا في عملية الاعتقاد، واهتم في ذلك بتحديد مفاهيم الجماعة المسلمة من خلال الخطاب التعليمي لها، ونجد ذلك في عدد من الآيات القرآنية والتي اهتمت بالتدبر في المعنى وعدم الاكتفاء بالظاهر وضرورة الاهتمام بالمفاهيم في بناء المنهجية العقدية، ومن ذلك قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا**" [البقرة: 104]، وقوله تعالى "**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**" [النساء:46].

إن العناية بالمفاهيم يمثل قلب العناية بالمنهجية في الأدبيات المعاصرة، فالمفاهيم تمثل قلب المنهجية التي يضخ إلى باقي عناصرها الحياة اللازمة بالشكل الذي يتناسب مع طبيعتها ومقاصدها وخصائصها. ويوضح الشكل الآتي خارطة المفاهيم التي وقف الباحث عليها في بيئة الحجاج القرآني للمخالفين:

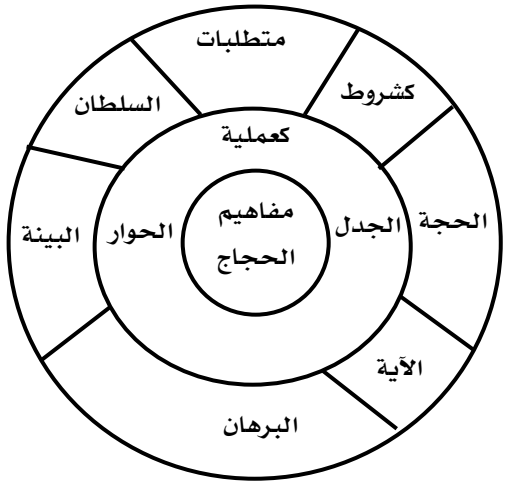


**شكل (1) يوضح خارطة مفاهيم الحجاج في القرآن الكريم**

ونوضح فيما يلي مضامين هذه المفاهيم ومكانتها في تأسيس منهجية حجاج القرآن للمخالفين:

- **أولًا: الحجة:**

الحجة مفهوم أساسي في خارطة مفاهيم الحجاج القرآني، وهو مفهوم يتناول ويصف عملية الرد القرآني على المنكرين، وهي عملية الحجاج: أي تقديم أو تبادل الحجج، أو دفع الحجة بالحجة.

ISSN : 2410-1818

والحجة لغة: تعني البرهان، وجمعها حجج أو حجاج، وهي ما يدفع بها دعاوى الخصم، وقال الأزهري بأنها البرهان الذي تدحض به دعاوى الخصم ويتم التغلب عليها، ويوصف الرجل بأنه محجاج إذا كان كثير الجدل، والتحاج: التخاصم، وحاجة محاجة وحجاجًا: نازعة الحجة، وحَجَّة يَحُجُّه حجًا: غلبة على حُجَّيته[1].

والمحاجة أو الحجاج، هي أن يورد كل طرف بالخصومة قولاً أو برهاناً على صدق قوله، والحجة من القولين هو البرهان الذي يورده المُبطل (الظافر)، لأنها مشتقة من حجه إذا علا عليه، فالكلام الذي يتم به الغلبة على الغير هو الحجة، ومن هنا فإن تسمية الشبهة بالحجة هو استثناء من الأصل الذي تدل عليه، ومن معاني الحجة أيضاً الطريق أو المسلك الذي يتخذه الإنسان في عملية الإثبات أو الإبطال في الخصومة [2].

ويتعلق مفهوم الحجة أيضًا بالدليل أو الدلالة الواضحة، فالحجة كما يقرر الراغب الأصفهاني هي الدلالة المبينة للمحجة، أو هي المقصد الواضح المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين، كما ورد آنفا في تسمية الحجج التي يسوقها القرآن الكريم بأنها هي الحجج البالغة الصحيحة المبطلة لكل دعاوي الغير، ويرى الراغب الأصفهاني في مفرداته، بأن ما يحتج المخالفون به لا يمكن اعتباره حجة بالحقيقة وإنما هو ما يوردونه ويظنون به بأنه حجة، وقد اطلقت بعض الآيات القرآنية على أدله المخالفين بالحجج كونها ذكرت في مقام المحاجة وفي موضع الجدال والخصومة[3]. وفي هذا المعنى ذكر الشريف الجرجاني في تعريفاته بأن الحجة هي التي تدل على صحة الدعوى، وذكر أيضاً، ولكن بصيغة التضعيف قيل، بأن الحجة والدليل هما بمعنى واحد[4].

ومن الحجة أيضًا **المُحاجَّة**: -وهي موضوع البحث-، ويقصد بها: أن يطلب كلُّ واحد من طرفي النزاع أو الخصومة من الطرف الآخر أن يردَّ عن حُجَّته ومحجَّته، ومن ذلك قوله تعالى: "**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ**" [الأنعام: 80]، وقوله تعالى: "**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**" [آل عمران: 61].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، مرجع سابق، ص54.

[2] الفخر الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج4، بيروت، دار الفكر، 1993، ص155.

[3] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص219.

[4] على بن محمد الجرجاني: **التعريفات**، تحقيق عبد المنعم الحفني، القاهرة، دار الرشاد، د.ت، ص94.

ISSN : 2410-1818

**ومن التعريفات الحديثة للحجاج أو المحاجة**، بأنها نوع خاص من الخطاب، يتعلق بقضية أو فرضية فيها خلاف بين طرفين، فيعرض كل متكلم دعواه من خلال الأدلة والبراهين والمسوغات المنطقية، قاصدًا إقناع الطرف الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية [1].

فالحجاج يقوم على فكرة الخلاف بين طرفين أو متحاجين، في قضية أو موضوع ما، ويقوم كل طرف منهما باستخدام مجموعة من الآليات والوسائل للوصول إلى إقناع الطرف الآخر، ومن هذه الآليات: البرهان والدليل والحجة والجدل.

**أنواع الحجة كما بينها القرآن:**

أشار القرآن الكريم إلى نوعين من الحجج على أساس الصدق والكذب:

- **الأولى: الصادقة: وهي الحجة البالغة**، قال تعالى: "**قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ**" [الأنعام: 149]، وهي الحجة الواضحة التي تزيل وتبعد الشك عمن نظر فيها، فحجته البالغة على هذا:

-تبيينه أنه الخالق الواحد، حيث تتبين حقيقة التوحيد من خلال النظر في عجائب صنعه في مخلوقاته.

-إرساله الرسل والأنبياء وتأييدهم بالمعجزات الدالة على صدق رسالتهم. وإنَّ طلب الحق يحتاج إلى بذل الاجتهاد، وإن ترك الاجتهاد في طلب الحق والركون إلى تقليد السابقين مذمة، لا تسوغ الباطل الذي عليه المنكرين والمشركين الذين ادعوا: "**سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ**" [الأنعام: 148]، فيرد القرآن على دعواهم بأن ما يحتجون به باطل لا يقوم على أي أساس من العلم بل مصدره الظن والتقليد، قال تعالى: "**قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ**" [الأنعام: 148].

ويشير القرآن الكريم هنا بأن الحجة الصادقة مصدرها: إمّا العلم، وإمّا الهدى من القرآن، وإمّا كتاب منير أي من الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل السابقين، ومن كانت حجته غير هذه الثلاثة أو أحدها تكون حجته باطلة.

- **الثانية: الكاذبة: وهي الحجة الباطلة (داحضة):** وقد استخدم القرآن لفظة (الحجة) على الشبهة أو المزاعم التي أوردها المخالفين رغم عدم جدارتها العلمية، ويمكن أن نرد ذلك إلى وجهين: الأول: أن القرآن استخدم لفظة الحجة على قول المخالفين وهي (حجة باطلة) استنادًا إلى اعتقادهم بأنها حجة، والثاني: أن القرآن سماها حجة تهكمًا بهم[2].

---

[1] محمد العبد: "**النص الحجاجي العربي – دراسة في وسائل الإقناع**"، القاهرة، **مجلة فصول**، خريف 2002، عدد (60)، ص44.

[2] الفخر الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج4، مرجع سابق، ص155.

ISSN : 2410-1818

**الحجة من حيث التصنيف الخاص (المرجعية):**

أما من حيث مرجعية الحجج وموطن الاحتجاج بها، فيمكن تقسيم الحجة الصادقة إلى أنواع الأربعة:

- الحجة النقلية: ومرجعيتها الكتاب المنير أي الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل والتي هي جميعها تهدف إلى تثبيت التوحيد والإيمان بالغيب والبعث والنشور وبيان صدق إرسال الرسل والكتب السماوية.
- الحجة العقلية: وهي الحجة التي تخاطب العقل الإنساني، حيث طلب فيها القرآن الكريم من الإنسان تحكيم ميزان العقل، ووجه القرآن العقل الإنساني النظر في دليل الخلق والإبداع وإلى تتبع هذا الدليل والوصول فيه إلى برهان الخلقية لله تعالى ونفي الشرك جملة وتفصيلًا، وقد جاء ذلك في آيات قرآنية عديدة.
- الحجة التاريخية: وتؤخذ من سير التاريخ والقصص وهو ما اعتبره القرآن وأكد فيه على معاني السير في الأرض والنظر والاعتبار، قال تعالى: "**فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا**" [آل عمران:137].
- الحجة الكونية: ومرجعيتها النظر في الكون للاستدلال على الخالق جل وعلا. وتقوم هذه الحجة على اكتشاف أسرار الخلق باعتبارها آيات وحجج لله في الكون المنظور قال تعالى: "**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**" [فصلت:53]، وقال تعالى: "قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" [يونس:101].

وكأن القرآن جميعه خطاب حجاج لتثبيت العقيدة الصحيحة وبيان زيف ما عداها، وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية: "وإذا تأملت القرآن وتدبرته، وأعرته فكرًا وافيًا، اطلعت فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحجج الصحيحة، وإبطال الشبه الفاسدة، وذكر النقض والفرق المعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصّره الله وأنعم عليه بفهم كتابه" [(1)].

- **ثانيًا: مفهوم البرهان:**

المفهوم الثاني من مفاهيم خارطة الحجاج في القرآن هو مفهوم البرهان، وهو أحد المفاهيم الرئيسة في مسائل حجاج القرآن مع المخالفين.

**لغة:** عرف ابن منظور البرهان بأنه "الحجة الفاصلة البينة، يقال بَرْهَن يُبَرْهن برهنةً إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم، فهو مُبَرْهنٌ، وتجمع برهان ببراهين، ... وقد جاء في الحديث النبوي بأن الصدقة برهان، بمعنى أنها حجة ودليل لطالب الأجر عند الله وقيل إنها دليل على صحة إيمان صاحبها

[(1)] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، **بدائع الفوائد**، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت. مجلد،4، ص.130.

ISSN : 2410-1818

لإخراجها ملتمساً الأجر من الله" [1]. وقال الرازي "برهن (البرهان) الحجة وقد (بَرْهَنَ) عليه أي أقام عليه الحجة"[2].

**اصطلاحًا:** البرهان: استدلال ينتقل فيه العقل من قضايا يقينية مسلمة إلى أخرى تنتج عنها ولازمة لزومًا ضروريًا. والبرهان هو الحجة الدامغة التي تبطل قول الخصم وحججه، ويقال: برهن عليه إذا أقام عليه الحجة، والبرهان بيان الحجة وإيضاحها[3]، والبرهان حيثما يرد في القرآن فإن المقصود به العلم اليقيني الذي لا يقبل الواقع خلافه أو نقيضه[4]، وقد اعتبر أهل المنطق البرهان بأنه أسمى صور الاستدلال، لأنه يقوم بداية على مقدمات يقينية وينتهي - تبعًا لذلك - إلى نتائج يقينية.

وقد وردت كلمة برهان في القرآن على وجهين: الأول بمعنى حجة، كقوله تعالى: "**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**" [البقرة: 111] يعني حجتكم بأن هناك آلهة أخرى معه الله. والثاني: بمعنى آية، كقوله تعالى: "**لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ**" [يوسف:24] يعني آية من ربه[5].

قال السمرقندي مبيناً معنى البرهان، بأنه "ما صحت به الدعوى وظهر به صدق المدعي، وقيل هو بيان صادق الشهادة". وهذا المعنى أكده المناوي فقال بأنه: آكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدًا لا محالة. وفي عرف الأصوليين "البرهان" هو: ما فصل الحق عن الباطل، وميز الصحيح عن الفاسد بالبيان الذي فيه [6].

ويذكر الراغب الأصفهاني في المفردات: أن البرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدًا لا محالة. وقسم الراغب الأدلة إلى خمسة أنواع: أدلة تقتضي الصدق أبدًا (وهو البرهان)، وأدلة تقتضي الكذب أبدًا، وأدلة إلى الصدق أقرب، وأدلة إلى الكذب أقرب، وأدلة هي إليهما سواء [7].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، مرجع سابق، ص394.

[2] أبو بكر الرازي: **مختار الصحاح**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص50.

[3] محمد السيد الجليند: "البرهان"، في: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، **الموسوعة الإسلامية العامة**، محمود حمدي زقزوق (إشراف) القاهرة، 2001، ص281.

[4] محمد السيد الجليند: **تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين**، القاهرة: مكتبة الزهراء، 2001، ص10.

[5] عبد الرحمن يوسف الحمل: **قاموس المصطلحات الإسلامية**، ج1، القاهرة، مكتبة الآداب، 1990، ص97.

[6] محمود عبد الرحمن عبد المنعم: **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، ج1، القاهرة، دار الفضيلة، د.ت، ص377.

[7] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، دمشق، دار القلم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، 1992، ص121.

ISSN : 2410-1818

وتبدو العلاقة واضحة بين البرهان والحجة، فالبرهان هو حجة في أصله وحقيقته يستخدمه أصحاب الدعاوي لإثبات حجتهم، فالبرهان هو الحجة/ الدليل القاطع لإثبات صحة الدعوى، وهو بذلك أحد أدوات الحجاج. وهنا لا بد من التأكيد بأن البرهان الذي يطلبه القرآن، أو يستخدمه، لا يتشابه مع (برهان) الفلاسفة الصوري الذي يمكن أن يعتريه الزيف أو الخداع، ولكنه هو البرهان الذي يتفق مع اليقين وحقائق الواقع والحقيقة الكاملة، وهو مالا يمكن دحضه أو نقضه كما البرهان الذي لدى الفلاسفة.

- **ثالثًا: مفهوم الجدل:**

المفهوم الثالث في خارطة مفاهيم الحجاج في القرآن، وقد ذكره القرآن في موقع الدليل والحجة كذلك والجدال من المفاهيم المركزية في محاجة القرآن للمخالفين إذ أنه محور عملية الحجاج بين القرآن وبين المخالفين حيث كان عنوان هذا الحجاج قوله تعالى: "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" [البقرة:111].

**لغة:** جاء في لسان العرب: الجدل :شدة الفتل، وجدلت الحبل أجدلته جدلًا إذا شددت فتله وفتلته فتلًا محكمًا، قال ابن سيده: جدل الشيء يجدله ويجدله جدلًا أحكم فتله، ... والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة وطلب المغالبة[1].

ويذكر الراغب أن الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جدلت الحبل، أي أحكمت فتله ... ومنه: الجدال، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه[2].

وجاء الجدل في القرآن على أنواع: مذموم ومنهي عنه، وجدال محمود، وآخر مأمور به، وجدال كطبيعة إنسانية:

1. جدال أمر وشرط: ومن ذلك قوله تعالى: "**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**"[النحل: 125]، فالجدال هنا الدعوة إلى التوحيد والإسلام، وهو نوع من الجدال مأمور به المسلم حتى قيام الساعة، وشرطه أن يكون بالحسنى بل بالأحسن أي أفضل الطرق قيمًا وخلقًا.
2. جدال محمود: وهو جدال خولة بنت ثعلبة في زوجها، كما في قوله تعالى "**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**" [المجادلة:1]، حيث كانت غاية الجدال هنا محمودة وهي المحافظة على البيت المسلم والوصول إلى ما يثبت تماسكه لا انفكاكه، وقد سطره القرآن في آيات تتلى إلى يوم القيامة.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ج 3، مرجع سابق، ص 212.

[2] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص190.

ISSN : 2410-1818

3. المنهي عنه (المذموم): ومنه:

أ. الجدال بغير علم ولا معرفة ولا سابق خبرة بموضوع "الجدال"، كما في قوله تعالى: "**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا**"[غافر، 35].

ب. الجدال بعد ظهور الحق لدحضه بالباطل، قال تعالى: "**يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ**" [الأنفال: 6].

ج. جدال الأقوام لأنبيائهم بغرض إيجاد مسوغات للكفر وعدم الإيمان، قال تعالى: "**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا**" [الكهف: 56].

د. جدال الشياطين أو الذي دافعه الشيطان، كما في قوله تعالى: "**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**"[الأنعام: 121].

ه. جدال الكافرين بغرض الجدال والتشكيك فقط، قال تعالى: "**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**" [غافر:4].

4. الجدل كطبيعة إنسانية، قال تعالى: "**وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**"[الكهف:84]، ويلحق به الجدال الحق، وهو جدال النفس يوم القيامة، قال تعالى: "**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا**" [النحل:111].

- **رابعاً: مفهوم الحوار:**

مفهوم الحوار تابع لمفهوم الحجاج حيث أنه لا حجاج بدون حوار، أيًا كان شكل الحوار وزمانه ومكانه، فهو وسيلة لاكتمال أركان الحجاج، والحوار يكون بين طرفين حول موضوع محدد، وقد يكون غير محدد سلفاً، والحوار في عملية الحجاج التي نحن بصددها بين القرآن من ناحية والمخالفين له والمنكرين لدعوته من ناحية أخرى، أما موضوع الحوار فهو قضايا الإيمان والتوحيد والبعث والنشور والجزاء والحساب والكفر والضلال والهداية والانحراف.

**لغة:** المحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاور، المحاورة: المجاوبة، والتحاور والتجاوب..والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[1]. والمحاورة- أيضًا-مراجعة الكلام بين

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، مرجع سابق، ص384.

ISSN : 2410-1818

المتكلمين، ولا تلزم فيه الخصومة وإنما تغلب عليه صورة الكلام المتبادل بين طرفين، في أسلوب لا تقصد به الخصومة، أو لا يراد به بالضرورة الاتجاه إلى الخصومة[1].

وقد وردت المحاورة أو الحوار في القرآن في ثلاثة مواضع: الأول: قوله تعالى: "**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**"[الكهف:34]، والثاني قوله تعالى: "**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**" **[الكهف:37]**، **والثالث قوله تعالى "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا"** [المجادلة :1].

والحوار من فعل حاور: الدال على المشاركة، والتحاور التجاوب أي يتضمن فعل "التفاعل" بين أطراف الكلام والمحاورة. وقد يكون الحوار مقصودًا ومنظمًا وموقتا، كما يحدث في المناظرات والأحاديث الصحفية، والندوات العلمية، وقد يكون غير منظم أو موقوت - أي تلقائيًا...لكن لكل حوار موضوع تدور حوله وأدلة ومسوغات وبراهين يستخدمها كل طرف في إثبات وجهة نظره.

إن القرآن في كثير من مضامينه كتاب حوار، لاسيما في القصص القرآني والذي يهدف إلى تقديم الاعتبار للإنسان والمؤمنين خاصة، ومن نماذج الحوارات في القرآن: الحوار بين موسى "عليه السلام" وفرعون، والحوار بين نوح "عليه السلام" وابنه، والحوار بين سليمان "عليه السلام" والهدهد، والحوار بين فرعون والسحرة، والحوار بين ملكة سبأ والملأ، وغير ذلك مما يزخر به القرآن من طريقة الحوار كمنهج لعرض وتحليل المواقف المتعارضة أو المتوافقة مع قضايا الإيمان والتوحيد، أو أخذ الاعتبار أو المراجعة والتقويم لسلوك أخلاقي وقيمي وعقدي.

إن ما يمكن القول به في حزم ويقين أن القرآن كتاب حوار بالأساس، وفي ذلك يجد قارئه مئات من التكرارات لأفعال القول: قال، يقول، قل...وعديد من المشاهد والصور التي تبين أشكال الحوار المذكورة على تنوعها وتعددها، والعديد كذلك للموضوعات التي دار حولها الحوار من زوايا مختلفة يكمل بعضها بعضًا من أجل بناء الأركان الفكرية لقضية أو موضوع الحوار.

ومن ناحية أخرى فإن هو نوع من الحجاج من أحد وجوهه، ففي العملية التحاورية بين طرفين، يحاول كل طرف منهما إقناع الطرف الآخر برأيه أو وجهة نظره، دون ممارسة أي ضغط عليه، قاصداً الإذعان والقبول من الطرف الآخر، وفي الحوار يتم استخدام كل آليات الحجاج المتاحة، وبهذا فإن الحجاج يقترب من الحوار حين يستخدمه كإحدى الوسائل لإقناع المتلقي أو الطرف الآخر، وبذلك يظهر أن الحوار يدخل في صميم الحجاج، والحجاج يتضمن الحوار[2].

---

[1] عبد الحليم حفني: **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص11.

[2] حياة دحمان: **تجليات الحجاج في القرآن: سورة يوسف أنموذجًا**، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، رسالة ماجستير غير منشورة، 2013، ص27.

ISSN : 2410-1818

وينشأ عن الحوار قيم عديدة - كما تظهر من حوارات القرآن- منها: الاعتراف بحق الآخر - المختلف- في المعرفة، وفي الاستماع إليه، وفي التواصل الأخلاقي الجيد بين المتحاورين، والقيمة العلمية للأدلة المتبادلة في الحوار.

- **خامساً: مفهوم البينة:**

البيّنة من المفاهيم اللازمة لعملية الحجاج، إذ أن الحجة أو البرهان والدليل لابد وأن يلازمها الوضوح والكشف لمضمون الدليل، فلا تسمى الحجة حجة أو دليلًا وهي تتسم بالغموض أو عدم القدرة على الظهور والتبيُّن للناس أو المجادلين في حوار الحجاج، لذلك كان ظهور الدليل أو البرهان شرطًا لازمًا في عملية الحجاج وفي الأدلة والبراهين المقدمة من طرفي الحجاج.

**لغة:** تعرف البيّنة بأنها الدلالة الواضحة سواء أكانت عقلية أو محسوسة، والبيان: الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق، لأن النطق مختص بالإنسان. وفي مفردات الراغب الأصفهاني بأن البيان يأتي على نوعين، الأول منهما البيان بالتسخير وهو كون الأشياء تدل على حال وآثار الصنعة، والآخر بالاختبار وهو المتعلق بالبيان نطقاً أو بالكتابة أو بالإشارة[1]، وسمي الكلام بيانًا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره، وكذلك سمي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بيانًا، نحو قوله جل وعلا: "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" [القيامة: 19].

والبينة من بَيَّنَ أي ظهر واتضح، ... وبَيَّنَ الشيء تبينًا، وتبيانًا: أوضحه، ... ويقال: تَبَيُّن في أمره: تثبت وتأنى ... والبَيِّنَةُ أيضاً: الحجة الواضحة [2]، والتبين هو الإيضاح والوضوح، ويقال استبنت الشيء إذا تأملته حتى تبين لك [3].

يتعلق مفهوم البيّنة بعملية الحجاج من عدة نواحي، الأولى: أنه يتعلق بموضوع الحجاج الذي يجب أن يكون واضحًا بين طرفي الحجاج، وأن يكون متفقًا على مفاهيمه المستخدمة، حتى لا يحدث لبس في التواصل أثناء عملية الحجاج. والناحية الثانية: أن الحجة المقدمة لا ينبغي أن تتضمن غموضاً أو تحايلاً في العرض، وأن تكون مما تخضع للدلالة القطعية العقلية أو الحسية، وليست من قبيل الظنون أو الاستناد إلى آراء السابقين، فالتقليد لا يُعد حجة بيّنة، ولكنه مسوغ لإسناد الحكم إلى آخرين غير موجودين أو غير أحياء من الأساس -بصورة اتكالية وتهرب من تحمل المسؤولية- حيث لا يستطيع هؤلاء السابقين أن يدفعوا عن أنفسهم صحة نسبه أو خطأه إليهم، كما أن السابقين ليسوا في ذاتهم حجة

---

[1] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص157- 158.

[2] مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، إستانبول، دار الدعوة، ط2، 1972، ص80.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، مرجع سابق، ص 562- 563.

ISSN : 2410-1818

بيّنة. أما الناحية الثالثة: فإن البينة لازمة في أن تكون الحجة المقدمة تسير في طريق مستقيم وليست دائرية، أي توصل إلى الحقيقة وليست مجرد تلاعب بالألفاظ أو استخدام المغالطات ومهارة التهرب من الحقيقة. وذلك كما فعل النمرود في حجاج إبراهيم "عليه السلام" معه كما ورد في سورة البقرة لسورة البقرة: 258].

- **سادسًا: مفهوم السلطان:**

مفهوم السلطان هو أحد المفاهيم التي استخدمها القرآن الكريم في عملية الحجاج مع المخالفين والمنكرين، وجاء السلطان في مشاهد الحجاج بمعنى الحجة، وسمي الحجة سلطانًا، وذلك لما يلحق به من الهجوم على القلوب، لكن أكثر تسلطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين"[1].

سلط: من المنة والغلبة والسلطان: القهر والغلبة، ويستعمل في القرآن في الحجة والبرهان كثيرًا [2]، ومن ذلك قوله تعالى: "**أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ**"[الأعراف: 71] [3].

وقوله تعالى: "**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**" [آل عمران: 151][4].

- **سابعًا: مفهوم الآية:**

المفهوم السابع والأخير في خارطة مفاهيم الحجاج، هو مفهوم الآية، ويدخل هذا المفهوم ضمن المفاهيم التابعة والذي يتضمن شروط الحجة المقدمة أي أن تكون ذات دلالة واضحة لما يحتج به أي للبرهان وتكون قادرة على الإدراك والظهور، وتأتي أيضًا بمعنى المعجزة أو البرهان والدليل.

**لغة:** الآية: هي العلامة الظاهرة، وحقيقة لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره فمتى أدرك مُدركٌ الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذا كان حكمهما سواءً،

---

[1] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، ص420.

[2] مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، القاهرة، ط4، 2018، ص 582.

[3] وقد ورد اللفظ ذاته في عدد من الآيات الكريمة: [يوســـف :4]، [هود:96]، [يونس:68]، [إبراهيم: 10– 11]، [الكهف: 15]، [المؤمنون:45]، [النمل: 21]، [الصـــافات: 156]، [غافر: 23، 35، 56]، [الدخان: 19]، [الذاريات: 38]، [الطور: 38]، [النجم: 23].

[4] وقد ورد اللفظ ذاته في عدد من الآيات الكريمة: [النساء: 91/ 153/144] [الأنعام: 81]، [الأعراف: 33]، [الحج: 71]، [الروم: 35].

ISSN : 2410-1818

وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات. فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ثم وجد العلمَ علِمَ أنه وجد الطريق. وكذا إذا علم شيئًا مصنوعًا علم أنه لابد له من صانع...وقيل الآيات إشارة إلى الأدلة [1].

إن الآية بمعنى الأمر المحسوس المشاهد والذي يدل على فاعله وصانعة المعين، ولقد سمى القرآن نفسه آية وآيات، كما سمي الكون آية وآيات لما فيه من مشاهد كثيرة محسوسة تدل على الصانع والخالق، كما سمى دلائل النبوة آيات، ومن ذلك قوله تعالى: "وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ" [الذاريات:20]، فلفظ الآية هنا يدل على أمر جزئي معين ومحسوس يستدل به على خالقه المتعين، ودلالة الأمر الجزئي المعين أكثر من دلالة الأمر الكلي اللامتعين، ولذلك تكرر هذه المصطلح في القرآن كثيرًا ، وفي كل موارده القرآنية كان يدل دلالة قاطعة على مطلوبه [2].

كما استخدم القرآن مفهوم (الآية) للمخالفين والمؤمنين على السواء، وذكر في ذلك أن الآيات للمؤمنين والموقنين ولقوم يتفكرون ويسمعون ويعقلون ويذكرون وهؤلاء يصدقون بها ويَبْلُغون بها حقيقة الإيمان اقرأ قوله تعالى في: [الحجر:77]، [النحل: 11، 6513]، كما جاءت الآية -أيضًا- للمخالفين حتى يعتبروا ويعودوا إلى رشد الإيمان أو تحدي لمخالفتهم اقرأ قوله تعالى في: [الشعراء:139]، [النازعات:20].

---

[1] الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص101.

[2] محمد السيد الجليند: **تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين**، مرجع سابق، ص10.

ISSN : 2410-1818

## المحور الثاني: مقاصد منهجية "حجاج" القرآن للمخالفين

نتناول في هذا المحور المرتكز الثاني لمنهجية القرآن الكريم في محاجة المخالفين، إذ أن لكل منهجية مقصد تسعى إلى تحقيقه، من حيث كون المنهجية نهج أو طريق يؤدي إلى تحقيق هدف ما، والهدف هنا هو مقاصد محاجة القرآن للمخالفين، وقد حدد الباحث هذه المقاصد في ضوء مضامين آيات الحجاج في القرآن، في أربعة مقاصد رئيسة هي: مقصد الهداية، ومقصد البناء العقدي، ومقصد الإصلاح الفكري، ومقصد الإصلاح الخلقي، ونتناول بعض تفاصيل هذه المقاصد فيما يلي:

- **أولا: مقصد الهداية:**

على خلاف أهداف "الحجاج" بين البشر والذي يتمثل في إفحام الخصم والانتصار عليه، باستخدام كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة في خطاب الحجاج المتبادل بين أطرافه، فإن القرآن في "محاجة" المخالفين له، لا يسعى إلى الانتصار عليهم أو التلذذ بهزيمة "المخالفين" الذين يعتبرهم مخالفين لا خصوم، لأن غاية القرآن هداية الناس جميعًا وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن ثم يعتبر كل إنسان أو بالأحرى كل مخالف موضوع رسالته وغايته الأساسية وهي هداية الناس.

كذلك فإن القرآن في محاجة المخالفين يسعى بالمنهجية الواضحة التي لا لبس فيها، والحجة الحقة التي لا باطل فيها إلى بيان الحقيقة، ويعمل في ذات الوقت على بيان التباسات العقل والوجدان التي حدثت لدى المخالفين، إما لأسباب ذاتية أو أسباب خارجية، وفي هذا البيان يحدد القرآن غايته في تلك العملية التداولية وهي تحقيق الهداية للمخالفين، وهذا ما يعتبره القرآن الانتصار الحقيقي، ويعلن في ذلك شعاره في مقصد الحجاج في قوله تعالى " **لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**" [السجدة:3]، [المؤمنون:49]، [الأنبياء: 31].

ومن ناحية أخرى فإن الواعي بالقرآن يدرك أن القرآن بالأساس كتاب لهداية الإنسان إلى طريق الحق، وإلى نهج الحقيقة، فالقرآن في ذاته هدى للناس، وهو لطف من الله تعالى بالإنسان في ذاته، ثم في مضامينه التي تتعلق بالردود على أقوال ومزاعم المخالفين في مستوياتهم المختلفة: المشركون، المجسدون، الدهريون، وغير ذلك مما فند القرآن أقوالهم ورد عليها في بيان وحجة وبرهان من أجل بناء أكمل صورة للحقيقة التي يريد للإنسان أن يعتقد فيها من خلال منطق الإيمان والبرهان والدليل والوضوح، وهذا كله يحقق في النهاية هداية الإنسان من الغش الذي أصاب تصوره واعتقاداته في الله ورسله وكتبه، وذلك إذ التزم الإنسان نهج العدالة والإنصاف والمسئولية عما يعتقد ويقول.

من أبعاد مقصد الهداية التي يقدمها القرآن في مضامين الآيات والمواقف التي تعرض لها في محاجة المخالفين:

- التنزيه الكامل لله تعالى اقرأ: [سورة الإخلاص] في مقابل التجسيد الذي قال به فريق من المخالفين.

ISSN : 2410-1818

- الاعتبار بالغيب (البعث والنشور والجزاء) في مقابل اعتقاد الدهريون بأن الحياة المعاشة ليست بعدها حياة أخرى، ولا نشور.

- الاعتبار بالرسل وصدقهم: في مقابل فريق من المخالفين ينكر صدق بعثتهم ويعتبرهم كاذبين أو سحرة

- الاعتبار بأن الكتب التي جاء بها الأنبياء والرسل هي من عند الله تعالى (التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن).

من ثم يمكن تحديد المقصد الحجاجي في القرآن الكريم ناحية المخالفين في المقصد الهدائي، وفي سبيل ذلك انفتح القرآن على ادعاءات المخالفين للتوحيد في كل صوره، ولم يهمل تلك الادعاءات والمزاعم انطلاقًا من كونها لا تتفق مع صريح القرآن، أو منطق العقل، أو خبرات الحواس، ولكن اتخذ القرآن موقفًا مستقيمًا وعادلًا ناحية المخالفين، يتجاوز ما يعرف في قواعد البحث العلمي المعاصر بـ "الموضوعية" والتي تستبعد ابتداء ما لا يتوافق مع العقل والحواس، وكان مقصد القرآن في ذلك - ومن بعده المؤمنين به - لعلهم يهتدون، لعلهم يتفكرون.

أما وسيلة القرآن في هداية المخالفين والمنكرين، فتبدو في دعوتهم إلى قراءة الحجج التي يقدمها القرآن وتفحصها على اختلاف مرجعيتها ووثوقيتها، وعرضها على عقولهم وفطرتهم وسنن التاريخ والكون، ومن ناحية أخرى يبدو مقصد الهداية ناحية المؤمنين، وذلك من خلال تثبيت عقائد المؤمنين بالبيان الشامل والوافي لقضايا العقيدة وإثبات تهافت المنكرين وتهافت مزاعمهم وأقوالهم أو حجتهم الباطلة. ومن ثم يكون هذا المقصد ذو وظيفتين: الأولى: تفنيد حجج ومزاعم الذين يلحدون بآيات الله، وإن حكَّموا فطرتهم السوية وعقولهم المتحررة من التقليد والوراثة للإلحاد والكفر والإنكار، فإنهم سوف يهتدون إلى الصراط المستقيم وإلى طريق الإيمان، والوظيفة الثانية: هي حماية الإيمان لدى المجتمع المسلم من أن ينزلق بعض أفراده إلى هذه الشبهات والأباطيل فيضطرب التماسك العقدي للمجتمع. ومن ثم يأتي الحجاج القرآني لغرض الهداية العامة لغير المؤمنين والمؤمنين أيضًا.

اتخذ القرآن مفاتيح للهداية في عرض ردوده وبراهينه وأدلته وتمثلت هذه المفاتيح الهدائية في افتتاح الآيات أو تضمينها ما يلي:

- وَمِنْ آيَاتِهِ.
- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.
- إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ.
- هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ.

ISSN : 2410-1818

- هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم.
- أَوَلَمْ يَنظُرُوا.
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ.
- وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ.
- قُلْ أَرَأَيْتُم.

- **ثانياً: مقصد البناء العقدي:**

من مقاصد الحجاج الأساسية في القرآن البناء العقدي وظهر هذا المقصد في عدة جوانب نوردها فيما يلي:

1-مواجهة العقائد والتصورات الباطلة لكشف زيفها وتقويضها وإقامة العقيدة الصحيحة حيث واجه القرآن جميع الدعاوي الباطلة والمزاعم التي قدمها المشركون والدهريون والمجسدون. اقرأ قوله تعالى: [فصلت: 9]. [آل عمران: أية 80]. [الأحقاف: 28]

2- بيان الأركان الأساسية للعقيدة الإسلامية، الإيمان بالله وتوحيده وتنزيهه، ورسله، وكتبه واليوم الآخر والبعث والنشور بالأدلة والبراهين والحجج العقلية والوجدانية. اقرأ قوله تعالى [الأنبياء: 22]، [الأحقاف: 4]، [النمل:59-63]، [يس: 71-83].

3- تصحيح ما التبس على أهل الكتب والشرائع السابقة، وانحرافات الفهم والتأويل والتاريخ والهوى والزيغ لديهم. اقرأ [المائدة:18-19]، [التوبة 30-31].

- **ثالثا: مقصد الإصلاح الأخلاقي:**

من الموانع التي ذكرها القرآن عند المخالفين وكانت عائقًا أمام قبولهم الإيمان والتوحيد هو التزامهم صفة الكبر والجحود بالحقيقة التي جاء بها الرسل والأنبياء، قال تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ** " [غافر:56]، وفي ذلك يقول الفخر الرازي: إن الجدال هنا من قِبَل المشركين غير مقترن بالسلطان أي العلم أو الحجة أو البينة أو الآية أو الدليل أو البرهان، ولكنه مقترن بالكبر أي الحسد، والحسد أعمي قلوبهم، فيعتقدون في الجهل والتقليد أنه محض المعرفة. وفي الحسد والحقد والكبر أنه محض الطاعة [1].

قال تعالى: " **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** " [سورة النمل13-14]، وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول الزجاج: "إن

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج27، مرجع سابق، ص81.

ISSN : 2410-1818

هؤلاء القوم رأوا أنهم إن اتبعوا النبي، صلى الله عليه وسلم، قل ارتفاعهم، ونقصت أحوالهم، وأنهم يرتفعون إذا لم يكونوا تبعًا له، فاعلم أنهم لا يبلغون الارتفاع الذي أملوه بالتكذيب والمراد المشركون... وقال مجاهد: الكبر هنا معناه: في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها" [1].

من ثم سعى القرآن في محاجة المخالفين إلى معالجة صفتي الكبر والجحود اللتان يؤديان إلى طمس الحقيقة، وحذر القرآن أصحابها من الاستمرار والتمادي، وإن استمرار القرآن في مشاهد واسعة وعديدة طلبه أن ينظر المنكرين ويتفكروا ويسيروا كل ذلك إنما طلب لاستمالة عواطف وأخلاق هؤلاء المخالفين للإيمان والتوحيد ودعوتهم إلى الخضوع للحقيقة وتنحية التكبر والجحود جانبًا.

- **رابعا: مقصد إصلاح التفكير:**

جاء القرآن الكريم بعد فترة انحرف فيها الإنسان عن الهدى وسبل الرشاد، وعم الكون فساد كبير في الاعتقاد والتصور والتفكير، ولذلك وصف القرآن النبوة ورسالتها بأنها نور من الله قال تعالى: "قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ" [المائدة: 15]، وأن الغاية التي يهدف إليها القرآن الكريم والرسالة المحمدية هي: "**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**" [المائدة: 16].

يمكن تحديد معالم إصلاح التفكير الإنساني الذي قدمه "القرآن" في "حجاج" المخالفين، في مسارين رئيسين: الأول: مسار التخلية (الهدم)، وفي هذا المسار تضمن القرآن إشارات واضحة لمسالب التفكير وعوائقه التي منعت "المخالفين" من الوصول إلى الحقيقة والهداية القرآنية، وأهم العوائق التي وقفنا عليها ما يلي:

**1- التقليد:** ومن ذلك قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" [البقرة: 170].

**2- إتباع الظن:** قال تعالى: "**قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**" [الأنعام:148]. وقال جل شأنه: "**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ**" [النجم: 23]، وحكى القرآن على لسان الدهريين قولهم: "**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**" [الجاثية: 24].

**3- إتباع الهوى:** قال تعالى في الذين لم يتبعوا الرسل وحقيقة الهداية: "**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ**" [الروم: 29].

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، بيروت دار الكتب العلمية، ط5، 1996، ص212.

ISSN : 2410-1818

**4-إهمال العلم والمعرفة في التعاطي مع حقيقة الهداية:** قال جل وعلا: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ" [الحج: 3].

**5- الاحتكام إلى الجدل المذهبي:** أي الذي يؤدي إلى الشك، ولا يسعى إلى تحصيل الحقيقة كما في قوله تعالى: "وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" [الزخرف: 58].

أما المسار الثاني للقرآن في إصلاح التفكير الإنساني فهو مسار البناء للتفكير المنهجي السليم للوصول إلى الحقيقة والهداية، وتضمن هذه المنهجية المفردات الآتية:

**1-الاستدلال:** في مقابل الموانع السابقة، فإن القرآن يقدم الطريقة العلمية في الوصول إلى أحكام صائبة في عملية الحجاج، وأهم هذه الطرق التي يقدمها القرآن هي طريقة الاستدلال عن طريق النظر والسير، حيث يطلب القرآن من المشركين والمجادلين في الله، أن يسيروا في الأرض وينظروا ويستدلوا بعقولهم في نشأة الخلق فهي دليل واضح ومحسوس على الخالق، قال تعالى: "**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" [العنكبوت:20].

وقد ذُكر السير - الذي هو أحد أركان الاستدلال- في القرآن في (14) موضعًا في القرآن، مقترنا أو سابقا للنظر في (12) موضعًا منها، وفيها يقرر القرآن تلك المعادلة لتحقيق الاستدلال العقلي السليم وهي: (السير + النظر = الاستدلال العقلي السليم لقضايا الخلق والسنن الاجتماعية والكونية).

لقد وجه القرآن الإنسان عامة - والمخالفين له خاصة - إلى السير والنظر في الآيات الدالة على وجود الله، وصدق الرسل، والكتب المنزلة، واستخدم في ذلك أسلوب الاستدلال بنوعية العقلي والاستقرائي في محاولة لإثارة قواعد التفكير السليم لدى الإنسان والوصول من خلالها إلى أحكام واعتقادات صائبة. كما يمحص الأحكام المسبقة التي توارثها الإنسان فيبقي على الصحيح منها ويستبعد الخاطئ غير المماثل للحقيقة.

**2-المسؤولية الفكرية:** قال تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" [الإسراء:36]، حيث ترسي هذه القاعدة القرآنية مبدأ المسؤولية الفكرية للإنسان، فلا يستجيب للهوى أو الوهم أو الظن أو التحيز أو الزيف والخداع في بناء أحكامه واعتقاداته، وأن يعتمد في بناء أحكامه واعتقاداته على أساس من اليقين والأدلة والبراهين وليس الشبه، كما حذر القرآن من أن يتبع الإنسان الشبهات، قال تعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ" [آل عمران: 7].

ISSN : 2410-1818

**3-طلب الدليل والبرهان:** من أسس التفكير السليم ألا يكون هناك حكم أو اعتقاد إلا بدليل أو برهان أو حجة واضحة تؤكد هذا الحكم وتؤدي إلى هذا الاعتقاد، أي أن القول وحده لا يعتد به في مجال الأحكام والاعتقادات، وعلى هذا جاء القرآن في محاجة المخالفين مؤكدًا على طرح البرهان والحجة من جانبه على صدق دعواه في الخلق والخالق والرسل والكتب والبعث والنشور. وفي ذات الوقت طلب من المخالفين والمنكرين لدعواه بالبرهان على صدق زعمهم، قال تعالى: "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[البقرة: 111]، فالبرهان هو الدليل أو الحجة التي تثبت صدق المدعي وأحقية دعواه.

**4-العناية بالمنهج** أو الطريقة التي يجب أن تتضمن في خطة الإنسان للوصول إلى الحقيقة: وذلك لأن السير بلا منهج أو عشوائية لا يؤديا إلى الوصول إلى الحقيقة، والمنهج هو مجموعة من الخطوات والمراحل العلمية للوصول إلى الحقيقة، قال تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا"[المائدة:48]، وعلى ذلك فإن هذه القاعدة تؤسس لمفهوم العلم الذي يجب أن تكون له وظيفة هدائية للإنسان، سواء تعلقت تلك الهداية بقضايا الألوهية أو القضايا الكونية أو القضايا الاجتماعية معًا.

إن القرآن يحدد للإنسان إطار البحث في الحقيقة وكيفية الوصول إليها من خلال بيان الطريق المؤدي إليها وهو (الوحي- الكتاب المسطور)، والكون (الكتاب المنظور)، قال تعالى: "**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**" [فصلت:53].

ويطلب القرآن من المخالفين بصفة خاصة - أن يعتمدوا التفكير العلمي في أحكامهم وبناء تصوراتهم، ويبتعدوا عن الاضطراب والعبث الفكري في مسالك السابقين أو الظن أو الهوى والتحيز وكلها مهلكات للحقيقة ولمن يبحث عنها.

ISSN : 2410-1818

## المحور الثالث: خصائص منهجية الحجاج في القرآن

في هذا المحور نتناول الجانب الثالث من منهجية محاجة القرآن للمخالفين، ويتعلق هذا المحور بخصائص تلك المنهجية وطبيعتها، ومن أهم تلك الخصائص نذكر ما يلي:

### 1-الحجاج القرآني نموذج لعملية الحوار مع المخالفين:

يشير الدكتور عبد الحليم حفني في دراسته "أسلوب المحاورة في القرآن الكريم" إلى أن الحجاج في القرآن نموذج مكتمل الأركان لعملية المحاورة والتي تزخر بالعديد من الخصائص الفريدة، وأهم هذه الخصائص: التنوع من حيث القضايا والموضوعات التي تناولتها حيث شملت تنوعًا ما بين الموضوعات والقضايا الاجتماعية والعقدية والاقتصادية وغير ذلك، وثاني الخصائص: الاعتماد على العقل في طرح الأدلة والبراهين، والثالثة: مبدئية الإقرار بإنصاف الخصم أي تحقيق العدالة في الحوار، والرابعة: تحديد هدف المحاورة والقصد منها وتوضيح ذلك جليا، والخامسة: الجانب الأخلاقي وهو ما يتوافق مع غاية القرآن الأساسية وغاية الرسالة كلها"[1].

### 2-التمايز بين الحجاج القرآني والحجاج البشري:

لا ينبغي أن نتعامل مع موضوع الحجاج القرآني من منطلق وضعي أو فلسفي، فنقوم بإسقاط النظريات والأفكار الخاصة بموضوع (الحجاج) كما أبدعه أو طوره العقل الفلسفي البشري على عملية (الحجاج) في القرآن الكريم بل ينبغي أن تكون مصدرية القرآن هي الأساس في استخلاص تلك المعالم والخصائص لبناء إطار لموضوع الحجاج من القرآن ذاته.

إن الحجاج المعاصر يسعى إلى إفحام الخصم والانتصار عليه واستخدام كافة الوسائل في ذلك وربما المغالطات المنطقية المعروفة، بينما الحجاج في القرآن يسعى إلى تحقيق الهداية للمخالفين والخصوم، ولا يعتبر أن الانتصار عليهم يكون بإفحامهم أو بيان تهافت حججهم، بل يعتبر أن الانتصار هو تحقيق الهداية لهم.

### 3-تنوع بينات الحجاج القرآني:

تنوعت أساليب الحجاج القرآني للمخالفين، ويمكن رد ذلك إلى معرفة القرآن للطبائع البشرية ومدى اختلافها في قبول الحقيقة أو مراوغتها من حجة إلى حجة أخرى، فاستخدم القرآن الحجة المادية تارة بأمره بالنظر كما جاء في سورة يونس يونس:101]، والحجة التاريخية تارة أخرى: "**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا**" [آل عمران:137]، والحجة المعنوية الباطنية تارة أخرى: "**وَإِذَا مَسَّكُمُ**

---

[1] عبد الحليم حفني: **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص29 – 39 بتصرف.

ISSN : 2410-1818

**الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ"** [الإسراء:67]، وتارة الحجة التعجيزية: **"قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ"** [الأنعام:63].

**4- طلب الدليل أو البرهان العقلي:**

إن مخاطبة غير المسلم أو من يرغب في التزود بالبرهان العقلي في قضايا الإيمان والتوحيد قد لا يكفي بها النصوص النقلية لإقناعه والسير معه في سبل الهداية، بل لا بد أن يضاف إلى ذلك شيء آخر، له أكبر الأثر في توضيح الجانب العقلي في الإلزام بالبرهان، وهو التنبيه إلى الأدلة البرهانية المتضمنة في النص القرآني، حيث أن كل دليل شرعي له جانبان[1]: الجانب الأول: وهو دلالته النصية بلفظه ومعناه كما ورد في الوجه الكريم، وهذه الدلالة تكون قطعية الثبوت والدلالة. والجانب الثاني: هو ما يرشدنا إليه النص الصحيح من برهان يقيني قطعي الدلالة على المراد قد أشارت إليه الآية وتضمنته.

**5- حجية القرآن تفيد اليقين المطلق:**

إن حجية القرآن الكريم قطعية في النفي وفي الإثبات، وما دام القرآن الكريم ثابت قطعًا أنه كلام الباري، وقد ثبت وروده إلينا بالتواتر عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، فإن كل ما جاء فيه من أدلة وبراهين تفيد اليقين المطلق الذي لا يتطرق إليه شك. فأدلة القرآن قطعية الدلالة لأن مرادها تثبيت القواعد العقدية، ولما كان الأمر كذلك نجد أن أدلة القرآن وبراهينه في جدال الخصوم واضحة المعاني سلسلة الأسلوب بينه المقاصد، ولا يستطيع أحد من البشر إنكارها إلا إذا كان معاندًا لا يريد أن يخرج من ضلاله[2].

**6-التكامل بين العقل والوجدان:**

انطلاقًا من خالقية الله للإنسان - وكل شيء - وأنه تعالى يعلم من خلق طبيعته وتكوينه، فإن القرآن الذي أنزله الله تعالى يخاطب الإنسان بكل مكونات طبيعته الإنسانة المدركة: العقل والوجدان معًا، فجاءت الحجج تخاطب العقل وتدعو إلى الاحتكام إلى منطقه، لا منطق التقليد والوراثة، والقرآن في ذلك دعا الإنسان إلى التحرر من كل سلطان للهوى والتحيز للآباء والأجداد في مقابل الحكم بنزاهة وحرية، ولهذا ذكر القرآن كثيرًا: لعلهم يفقهون، لقوم يفقهون، لا يفهمون إلا قليلًا، لقوم يعقلون، قلوب يعقلون بها، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون. وفي ذات الوقت أكد على الشعور الباطني للإنسان،

---

[1] محمد السيد الجليند: **تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين**، مرجع سابق، 2001، ص8.

[2] صلاح إبراهيم عيسى: "مجادلة غير المسلمين في القرآن الكريم: الأساليب والخصائص"، **مجلة الدراسات الإنسانية**، الخرطوم، جامعة دنقلة، يناير 2022، ص123.

ISSN : 2410-1818

الذي يقصد به الفطرة السوية التي أخذ الله منها العهد على وحدانيته وأنها جديرة بالوصول إلى حقائق الإيمان والاقتناع بما يقدمه القرآن من أدلة وبراهين على تلك الحقائق.

قال تعالى: "**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**" [سورة ق: 37]، أي لمن أعمل قلبه فيما خُلق القلب له من التدبر والتفكير والنظر فيما ينبغي أن ينظر فيه، أما الذي تأتيه الآيات والبراهين فلا يعيها ولا يسمع ولا ينظر أو يتفكر، فكأنه قد عدم القلب من حيث عدم الانتفاع به، وفاتته فائدة القلب والمطلوب منه، فهو سيان كمن لا ينتفع ببصره وسمعه وفكره وما تؤدي إليه من بينة وبرهان [1].

[1] عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، القاهرة، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، قرأه وعلق عليه: محمود شـــاكر، 2000، ص 304.

ISSN : 2410-1818

**خاتمة**

اهتم هذا البحث بقضية الحجاج في القرآن الكريم، باعتبار أن الحجاج من الأدوات الرئيسة التي استخدمها القرآن من أجل بيان أركان العقيدة الإسلامية وتفنيد ما يقابلها من العقائد والتصورات الباطلة، وبصورة أساسية انشغل البحث بمنهجية القرآن في حجاج المخالفين، وفرادة هذه المنهجية وتفردها من حيث البناء المفاهيمي الذي قدمته، وقد تناول البحث هذا البناء المفاهيمي في المحور الأول من خلال خارطة لمفاهيم الحجاج في القرآن الكريم، وقد تم حصر سبعة مفاهيم، هي: الحجة، والبرهان، والجدل، والحوار، والبينة، والآية، والسلطان. وقد تم بيان دور كل مفهوم وعلاقته بمنهجية القرآن في محاجة المخالفين.

أما المحور الثاني فتناول مقاصد منهجية الحجاج في القرآن، وخلص البحث إلى أربعة مقاصد رئيسة تقوم عليها منهجية الحجاج في القرآن وهي: مقصد الهداية، ومقصد البناء العقدي، ومقصد الإصلاح الخلقي، ومقصد إصلاح التفكير.

أما المحور الثالث فتضمن خصائص منهجية الحجاج في القرآن، وقد توصل البحث إلى ست خصائص لتلك المنهجية هي: الحجاج القرآني نموذج لعملية الحوار مع المخالفين، والتمايز بين الحجاج القرآني والحجاج البشري، نوع بينات الحجاج القرآني، طلب الدليل أو البرهان العقلي، وحجية القرآن تفيد اليقين المطلق، والتكامل بين العقل والوجدان.

وفي نهاية البحث، فإن الباحث يرى أن المحاجة والحجاج في القرآن بحاجة إلى مزيد من الدراسات، وبخاصة تلك التي تتناول مفاهيم الحجاج في القرآن الكريم وكيف تم استخدام كل مفهوم منها في محاجة المخالفين، وتأثير كل مفهوم منها دلالياً ونفسياً في نفوس متلقيها.

ISSN : 2410-1818

- **المراجع**

- **القرآن الكريم** رواية حفص عن عاصم.
- ابن منظور: **لسان العرب**، ج14، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1997م
- أبو بكر الرازي: **مختار الصحاح**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- حياة دحمان: **تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجًا**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات، 2013م
- الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، دمشق، دار القلم، 1992م.
- صلاح إبراهيم عيسى: "**مجادلة غير المسلمين في القرآن الكريم: الأساليب والخصائص**"، **مجلة الدراسات الإنسانية**، الخرطوم، جامعة دنقلة، يناير 2022م.
- عبد الحليم حفني: **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م
- عبد الرحمن يوسف الحمل: **قاموس المصطلحات الإسلامية**، ج1، القاهرة، مكتبة الآداب، 1990م.
- عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، 2000م.
- عبد الله بن علي بن أحمد القرني: **منهج القرآن الكريم في إبطال حجج المخالفين لدعوة الرسل عليهم السلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.
- على بن محمد الجرجاني: **التعريفات**، تحقيق عبد المنعم الحفني، القاهرة، دار الرشاد، د.ت.
- الفخر الرازي: **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار الفكر، 1993م
- القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط5، 1996م.
- مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، إستانبول: دار الدعوة، ط2، 1972م.
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت256ه): **صحيح الأدب المفرد**، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997م.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت751هـ): **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- مجمع اللغة العربية: **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، ط4، 2018م.
- محمد السيد الجليند: "**البرهان**"، في: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، **الموسوعة الإسلامية العامة**، محمود حمدي زقزوق (إشراف) القاهرة، 2001م.

ISSN : 2410-1818

- محمد السيد الجليند: **تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين**، القاهرة: مكتبة الزهراء، 2001م.
- محمود عبد الرحمن عبد المنعم: **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.
- منى أبو الفضل: **نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي
- عبد الحليم حفني: **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م.

**المجلات:**

- أحلام عبد العزيز الوصيفر، عزة محمد جدوع: "الحجاج في القرآن الكريم: سورة الحج نموذجًا"، **مجلة البحث العلمي في الآداب،** عدد (19)، 2018، القاهرة، جامعة عين شمس
- أيمن خمس عبد اللطيف: "الحجاج في القرآن: رؤية جديدة"، **مجلة كلية الآداب**، عدد (40)، ج (1)، أبريل 2015م، القاهرة
- محسن بن علي الشهري: "أسلوب الحجاج في إثبات البعث في النظم الكريم بين المكي والمدني: دراسة بلاغية تحليلية"، **مجلة العلوم الإسلامية**، عدد (6)، مج (2)، فلسطين، ديسمبر 2019م
- محمد العبد: "**النص الحجاجي العربي..دراسة في وسائل الإقناع**"، القاهرة، **مجلة فصول**، خريف 2002، عدد (60)